المدرسون تحت قبة النسر

- ٢ -

ثم وجه تدريس القبة للإمام الكبير الشهاب احمد المنيني [1] .

واستمر الى ان توفي سنة ١١٧٢ وكانت مدة تدريسه سنة واحدة .

---

(١) احمد بن علي بن عمر ، بن صالح بن احمد بن سليمان ، بن ادريس بن اسماعيل بن يوسف ، بن ابراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل ، المنيني المولد ، الدمشقي المنشأ . كان ألمعياً ، لغوياً نحويا ، اديباً حاذقاً ، لطيف الطبع ، حسن الخلال ، عشوراً ، متضلعاً ، منطلعاً ، متمكناً خصوصاً في الأدب وفنونه ، وحسن النظم والنثر ، ولد بقرية منين سنة ١٠٨٩ ولما بلغ سن التمييز قرأ القرآن . ثم قدم الى دمشق فقرأ على سادات أجلاء ذكرهم في ثبته .

ودرّس بالجامع الأموي بامرٍ من شيخه الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة ، لما توفي ولده الشيخ عبد الجليل ، فاستقام الى أن توفي الشيخ ابو المواهب . فبعد وفاته درّس بحجرته داخل المدرسة السميساطية ، الى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرّس بهـا ، وأقام على الافادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي ، مدة عمره ، فدرس بالجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين فى بعض العلوم ؛ وانتفع منه خلق كثير . وللمترجم :

على السر لا تطلع صديقاً ودعه في ضميرك عن كل الأنام مصونا
فانّ ضمير الفرد مستتر وإنْ تثنّى تبدّى للعيان مبينا

وكانت وفاته في يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن بتربة مرج الدحداح قال المؤرخ المرادي : والمنيني : نسبة —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم وجه التدريس للعلامة علي افندي الداغستاني (١)

فدرّس الى أن أصابه داء الفالج في صفر سنة ٩٦ فأناب الجهبذ النحرير الشمس محمد الكزبري ، فدرس بالنيابة عنه اربع سنوات الى ان توفي الداغستاني سنة ١١٩٩ ودفن بسفح قاسيون .

ثم وجه التدريس الى السيد محمد العطار (٢)

— الى قرية منين من قرى دمشق ، ولد بها هو ونشأ ، واصله من برفائيل قرية من أعمال طرابلس الشام . كان والده ولد في برفائيل المذكورة في سنة ١٠٢٨ ثم ارتحل وسنه احدى عشرة سنة الى دمشق الشام ، وتوطن بصالحيتها ، واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم العلامة الشيخ محمد البلباني الصالحي ، والشيخ علي القبردي الصالحي ، وتفقه على مذهب الامام الشافعي ، ثم ارتحل الى قرية (منين) المذكورة في سنة ١٠٤٦ وكان مرجعاً لأهل تلك القرية وغيرها بالفرائض ، وتوفي بالقرية المزبورة سنة ١١٠٨ ودفن بها .

(١) ابن صادق بن محمد بن ابراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي ، الداغستاني الأصل والمولد ، نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها ، تحت قبة النسر ، ولد في حدود سنة ١١٢٥ وقرأ على جملة من علماء بلادهم ، ثم قدم دمشق وتوطنها وذلك سنة ١١٥٠ ولما توفي الشهاب احمد المنيني المدرس تحت القبة ، توجه له عنه التدريس المذكور ، وبقي عليه الى وفاته ، وتصدر في دمشق ، وكان يرجع اليه في مهمات الأمور ، ونزل به الفالج في آخر أمره ، في صفر سنة ٩٦ وبقي في داره منقطعاً الى ان توفي سنة ١١٩٩ رحمه الله تعالى .

(٢) جدّ بني الحسيبي ، قد أجمع الناس على طيب أصله . ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة ، الى أن برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، تولى القضاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في أحكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاني مفتي القدس الشريف ، فوقع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار ، فكتب السيد محمد التافلاني رسالة في تعنيفه وارسلها اليه ، فغب وصولها شرحها وردّها من غير مهلة عليه . مات المترجم في الآستانة سنة تسع ومائتين والف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يدرس بل أناب الشمس الكزبري ، فبقي مدرساً الى ان توفي السيد محمد العطار سنة ١٢٠٩

ثم تولاه العلامة المحدث الشمس محمد الكزبري [١]

من غير تعرض له ، واستمر الى أن توفي سنة ١٢٣١ وكانت مدة تدريسه احدى عشرة سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم العامل القدوة الشيخ عبد الرحمن الكزبري [٢] .

(١) قال السيد محمد عابدين : مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية في دمشق المحمية ولد في سنة ١١٤٠ ونشأ في حجر والده ، وتفقه عليه وعلى خال والده الشهير ، بالشافعي الصغير ، الشيخ علي بن أحمد الكزبري ، وأخذ الحديث عنهما ، وكان والده قد أذن له بافادة الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشاءين في الأموي سنة ١١٨٥ بعد وفاته ، وفي سنة عشر ، جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب ، فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام ، وقد أشرت الى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه حيث قلت :

مَن به قبة ذاك الجامع لم تزل في كل عام تُسعَدُ
حين يروي في الصحيح الجامع لحديث المصطفى أو يُسندُ
يا له من خير درس جامع ولأهل العلم فيه مشهدُ
فكأن الوجه منه حينما ينثر الدر على الملتمِس
قمرٌ عن جانبيه العلما كنجوم أشرقت في الغلس

توفي رضي الله تعالى عنه سنة ١٢٣١ هـ .

(٢) الشافعي الدمشقي ، محدث الديار الشامية ، ولد يوم عيد الفطر سنة ١١٨٤ في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس الى ان اتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق ، وعدّ له الأستاذ الجدّ في (حلية البشر) —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فدرس الى ان توفي في البلد الحرام ختام اثنتين وستين ومائتين والف ، وكانت مدة تدريسه اثنتين واربعين سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم الفاضل الشيخ عبد الله الكزبري [١] .

فدرس الى ان توفي سنة ١٢٦٥ وكانت مدة تدريسه سنتين .

ثم تولاه بعده اخوه العالم الجليل الشيخ احمد مسلم [٢] .

— أساتذة كثيرين من عرب وعجم ، (ثم قال) : وقد اخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام . وبعد موت والده وجّه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه . وفي سنة ١٢٦٢ توجه المترجم الى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي الى رحمة الله ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في مقبرة المعلا .

(١) ولد سنة ١٢٢١ ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده ، إلى أن صار معدوداً من افراد العلماء الأعلام . وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الامام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك الى أن سقته المنية كأس الحمام ، وذلك سنة ١٢٦٥ هـ رحمه الله .

(٢) قال في الحلية : ولد سنة ١٢٣٦ وحضر دروس والده وغيره من العلماء الأفاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار ، واستجازه فأجازه ، ثم قال : قد أحبه الولاة والحكام ، وكان جاهه لعلمه ساتراً ، ولتقدمه على أضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه . وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة ١٢٦٥ جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر في شهر رجب وشعبان ورمضان ، الى أن توفي سنة ١٢٩٩ وصلى عليه في الجامع الأموي اكثر أهل الشام رحمه الله تعالى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فجلس مكان أخيه تحت قبة النسر في جامع بني امية ، وابتدأ من محل ما وصل اليه أخوه من الصحيح الشريف ، وفي سنة ١٢٧٨ وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، وفي سنة ٨٥ فصلت عنه ، ووجهت الى احمد افندي ابن المرحوم امين افندي منجك ، الى ان جذبت المترجم يد المنية سنة ١٢٩٩ رحمه الله تعالى .

سليم بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري [١] .

مات والده سنة تسع وتسعين ومائتين والف ، فأراد بعض الناس ان يكون ولده المترجم مكانه ، في تدريس صحيح الامام البخاري بعد العصر ، في رجب وشعبان ورمضان تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية .

وختم في الحلية ترجمته بقوله : توفي هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة ١٣٣١ هـ وجلس في مكانه ولده الشيخ محمد علي [٢] فتح الله علينا وعليه .

الشيخ بدر الدين ابن الشيخ يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله ابن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المغربي أصلاً ، الدمشقي مولداً .

لم يذكر (في الحلية) كيف حصل المترجم العلم ، ولا شيوخه فيه ، وانما وصف حاله وأعماله بعد أن تصدر للتدريس ، فقال : اذا أخذ في القاء الأخبار وجدته بحراً عجاجاً ، وان تكلم في أنواع العلوم أبدع تقريراً وإنتاجا ، كأنما الاحكام في صدره مرقومة ، وعوارف المعارف في خياله مصوّرة وفي لسانه منظومة ؛ وله حافظة تحصي له كل ما يسمع ، وإدراك هو أخف من النسيم وأسرع ؛ يقرأ في كل يوم جمعة بعد الصلاة صحيح البخاري في جامع بني امية ، ويزدحم الناس

(١) لم ينظمه (حلية البشر) في سلسلة المحدثين المدرسين تحت قبة النسر ، وانما عرض الى درسه في ترجمة مستقلة عن أولئك الأعلام .

(٢) اقول : ولم تطل مدة ولده هذا بعد أبيه ، وانما توفي في أثناء الحرب العامة الأولى ، فباشر هذا الدرس محدث الديار الشامية شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني ، فأعاد اليه رونقه ورُواءه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على درسه ، غير أنه يسرد ما علّقه في ذهنه ولا سؤال من أحد ولا جواب ، وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون ، لا تكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون ، وهو لا ينفك في يومه عن صيامه ، ولا في ليله عن قيامه ، كثير الذكر قليل الكلام ، دائم الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام .

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار :

هذا مجمل ما وصفه به الأستاذ الجد في تاريخه «حلية البشر» وإني أحب أن أتوسع قليلاً في ترجمة شيخنا الحسني لسببين (١) أني أصفه وصف معرفة ومشاهدة ، فقد قرأت عليه في كتب الأصول والمعقول والحديث ، جزاه الله عنا خيراً و (٢) لأنه خاتمة المحدثين تحت قبة النسر ، إذ لم يخلفه احد في حفظه وعلمه فيجلسَ مجلسه ويحقق شرط الواقف :

(حفظه ودرسه)

كان علم الفقيد كعلم من سبقه من أولئك الأئمة ـ علم حفظ ورواية ، لا علم كتب وقراءة ، وفرق بين علم يضيع بضياع الكتب ويذهب بذهابها ، وعلم يبقى محفوظاً مدى العمر في الصدر ، يحدث صاحبه به ويملي على الناس منه في أي آن ومكان ، ولا يبالي بالكتب حضرت أو نأت عنه .

لما احترقت خزانة دار الحديث -- وكان فيها مخطوطات الفقيد النفيسة ، ومؤلفاته التي كان كتبها في صباه ، كما احترق غيرها من مكتبات دمشق في الحريق الذي وقع في سوق الحميدية سنة ١٣٣٠ هـ ـ أخذ يقرأ الدروس الخاصة والعامة من حفظه ، ويمليها على الطلاب من مكنونات صدره ، والعلم ما وعته العقول والصدور ، لا ما أودعته القراطيس والسطور . وكان أستاذه الأوحد العلامة الجليل الشيخ أبو الخير الخطيب ، والد صديقنا زكي بك النائب الكريم ؛ ثم كان ابن همته وعزلته عن الناس السنين الطوال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(علم الحديث تحت قبة النسر)

أما الحديث فلا نعلم له نظيراً في حفظه ، ولا في ضبط رجاله ، ومعرفة سنده ، وحسبه روايته له في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، ـ من بعد فريضة كل جمعة الى صلاة العصر ، وقد دأب على ذلك نحو ثلاثة أرباع القرن . ومما يقضي بالعجب من تلك الدروس أنها كانت محط رحال الحكم والعلم ، وأن محدثنا العظيم كان يراعي فيها حال المستمعين ، ويتكلم بما تدعو اليه الحاجة والمناسبة ، فاذا وقف على درسه رجال الحكم أخذ يعظهم ويذكرهم بما يجب للأمة على ولاة الأمور ، فلا يصدرون عنه إلا وقد ملئو اعجاباً بلطف تنقلاته ، وبديع مناسباته ، وأخذه إياهم بالحق والصدق ، واذا حضر علماء الدين ملكتهم الحيرة والدهشة مما وعاه قلبه ، ورواه لسانه من تلك الأحاديث النبوية موصولة الأسانيد ، صحيحة الضبط ، تامة الحفظ ، يتلوها من غير توقف ولا تلعثم ، كأنما يغترف من عباب ، أو يقرأ في كتاب ، مع ذكر ما قاله أئمة هذا الشأن فيها ، واستحضاره ما أورده العلماء من معانيها .

(في دار الحديث الأشرفية)

ولم يكن يقرأ للطلاب في دار الحديث من كتب العلوم الشرعية والعربية والعقلية إلا مطولاتها وصعابها ، ولا من كتب المقالات والنحل والأهواء والبدع إلا القديمة الموروثة . وكان يرى أن هذه الكتب ترفع الهمم الى ما فوقها من كتب السلف ، وتقوي الملكات في فهمها ، وتعين على دفع الشبهات والاشكالات العصرية كلها .

وقد تشرفت بالحضور عليه رحمه الله تعالى في الكتاب المسمى بالتقرير والتحبير شرح العلامة ابن امير الحاج على تحرير شيخه الامام الكمال بن الهمام ، الذي جمع فيه بين اصطلاحي الحنفية والشافعية في اصول الفقه ، فكاد يأتي شيخنا البدر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على مسائل الكتاب حفظاً ، وكان يحققها معنى ولفظاً ، ولكنه كان يتحامى النطق بألفاظ الطلاق والحرام وما أشبهها ، وجميع ما يشتم منه رائحة التعريض بأحد ، وهذا دأبه رحمه الله في حياته كلها .

(ادخاله طلاب السنة في طور جديد)

كنا نجلس في حلقة فقيدنا الامام في دار الحديث ، ونقرأ صباح كل ثلاثاء وجمعة « منتخب كنز العمال » ـ من كتب الحديث الجامعة ـ رواية ودراية . فلما وقفنا على باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، قلت لأستاذنا أنعد نحن الآن من المعتصمين بها ؟ قال : نعم ، اذا قصدتم العمل . وقد أوجد رحمه الله ميلاً قوياً في نفوس طلابه لاقتناء كتب السنة ودراستها والعمل بها ، والاهتداء بهديها .

(قوله في دراسة اللغات الأجنبية)

سئل رحمه الله وأنا اسمع عن حكم التكلم باللغات الأجنبية ، فقال : المكروه من ذلك ما كان للتفكه ، وقد كان الفقيد يحب الجد والعمل ، ويكره اللغو والباطل ، والاّ فان لغات الأمم الحية صارت اليوم مفتاحاً للعلوم الكونية ، وقوة للدفاع عن حقوق الأمم والشعوب المختلفة ، وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن ثابت الأنصاري (رض) قال ، قال رسول الله (ﷺ) انها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية ، فقلت نعم ، فتعلمتها في (١٧) ليلة . وكان زيد بن ثابت يكتب للملوك ، ويجيب بحضرة النبي (ﷺ) وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والحبشية والقبطية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل تلك الألسنة ، فهذا نص في تعلم اللغات التي ورثنا حضارة أهلها ، وأورثناها امم المدنية الحديثة .

(مسألة مهمة)

وهنا مسألة مهمة ، وهو أن الذي كان يتعلم اللغات الأجنبية كان ينتقى من أفضل رجال الأمة وآمن أمنائها ، وزيد بن ثابت هذا كان كاتب الوحي ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد قال له الرسول : إنها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، ومعنى ذلك أنه (ﷺ) اختار زيداً كاتماً لسره ، كما اختاره كاتباً لوحيه . ولما استدعاه ابو بكر (رض) لجمع القرآن في عهده ، قال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) . وكان على بيت المال في خلافة عثمان (رض) .

فاتضح من هذا كله أن من يتعلم للأمة وعلى حسابها اللغات أو بعض الصناعات ، يجب ان يكون من الشبان العقلاء الذي لا نتهمهم بدينهم ولا أمانتهم ، ويجب على الأمة ان تراقبهم وتحاسبهم على وقتهم وعملهم . ومن الظلم للأمة والتفريط بمصالحها أن يعلم على نفقتها من يكون عابثاً لاهياً ، او مقصراً وانياً ، او ملحداً جانياً .

من جلس الى جانب رخامة معينة في الجامع الأموي

يشبه حديث الجلوس الى جانب الرخامة التي ورد ذكرها في طبقات الشافعية للسبكي ، حديث « الجلوس تحت قبة النسر » فقد جاء ذكرها في الطبقات ، ونحن ننقله لشبهه بموضوعنا في تسلسله بمن درسوا عند تلك الرخامة [1] ، ثم كانوا من أعلام الاسلام ، وناهيك بسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وهو منهم ، وإني مورد اسماءهم نقلاً عن طبقات السبكي نثراً ونظماً ، مع ذكر تاريخ وفياتهم ، وأما تراجمهم فيجدها المطالع في الجزأين الخامس والسادس من الطبقات ومثلها من الشذرات ، واليك ما قاله التاج بن التقي السبكي في طبقاته (ج ٦ ص ١٦٦) : وقد جلست للشغل في العلم عقب وفاة الشيخ الامام فخر الدين المصري إلى جانب الرخامة التي يقال إن اول من جلس إلى جانبها شيخ الاسلام فخر الدين محمد بن عساكر (٦٢٠) ثم تلميذه شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام (٦٦٠) ثم تلميذه الشيخ تاج الدين بن الفركاح (٦٩٠) ثم تلميذه وولده الشيخ

(١) جاء في نهاية الأرب للنويري ١/١٥٥ (الرخامة آلة تعرف بها الساعات) (المجمع)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

برهان الدين (٧٢٩) ثم تلميذه الشيخ فخر الدين المصري (٧٥١) ثم أنا (٧٧١) وكتبتها من خط الوالد (٧٥٦) رحمه الله تعالى .

الجامع الأموي فيه رخامة يأوي لها من للفضائل يطلب
الشيخ فخر الدين نجل عساكر والشيخ عز الدين عنه تنسب
والشيخ تاج الدين نجل فزارة عنه تلقاها لعبد (كذا) وتأدب
ثم ابنه أكرم به من سيد ورع له كل المناقب تخطب
وتلاه فخر الدين واحد مصره بذكائه كالنار حين تلهب
وابني يليهم زاده رب السما علماً وفهماً ليس فيه ينصب

أقول : اما الرخامة المذكورة فلعلها كانت في الحائط الشمالي من الجامع الأموي، فقد جاء في ترجمة مجد الدين بن عبد المجيد بن ابي الفرج اللغوي نزيل دمشق أنه « كانت له حلقة اشتغال بالحائط الشمالي » اهـ من شذرات الذهب (ص ٣٢٤ ج ٥) وقد كانت وفاة هذا المترجم سنة ٦٦٧ هـ فهو معاصر للشيخ عز الدين ابن عبد السلام المتوفى قبله بسبع سنوات .

تنازل بعض مدرسي قبة النسر
بالاستقالة او التوكيل لمن هم أعلم منهم

بلغ حب الانصاف والإخلاص ، وإسناد الأمور الى اهلها ، في بعض المدرسين تحت قبة النسر ، الى الاستقالة من وظائفهم ، او التوكيل فيها إلى مَن هم أكفأ وأمثل ، وقد عدّ شيخنا القاسمي (١٣٣٢) في كتابه « إصلاح المساجد من البدع والعوائد » رجالاً من هؤلاء حتى في باب القضاء ، ونحن نأثر عنه ما يتعلق بغرضنا ، قال رحمه الله : ومن ذلك تنازل السيد محمد العطار — احد اجداد بني الحسيبي — عن تدريس صحيح البخاري تحت قبة النسر ـ لما سعي في توجيهه عليه ـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الشيخ يوسف الشهير بابن شمس [١] وقراءة المذكور عنه بالوكالة الى وفاته . ومن ذلك نزول الوجيه احمد افندي المنيني عن تدريس الحديث تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة الى الشيخ سعيد الحلبي [٢] وقراءة المذكور عنه الى وفاته ، ثم قراءة ابنه الشيخ عبد الله الحلبي [٣] بالوكالة عن ابن صاحب الوظيفة الى أن نفي في حادثة الشام المعروفة (سنة ١٢٧٦) .

ثم ختم أستاذنا هذا المبحث النفيس بقوله : هذا ما نحفظه ونأثره عن أشياخنا وكله مما يشف عن عقل وفضل بل وإراحة نفس من عناء ما قد لا يتفرغ له ،

---

(١) الدمشقي المولد : (١١٥٨) الإمام المحدث ، العلامة المحقق ، عدّ له في الحلية أكثر من ثلاثين أستاذاً من فحول الشام ثم قال : مات رحمه الله تاسع شوال سنة ١٢١٥ ودفن في مقبرة الشيخ أرسلان .

(٢) شيخ المحدثين ، من شيد ربوع العلم ، ولد بحلب سنة ١١٨٨ ونشأ بها وقرأ على جملة من أفاضل علمائها ثم في سنة ١٢٠٧ قدم دمشق الشام واستوطن في حجرته بجانب مدرسة الكلاّسة في جامع بني أمية ، وتصدر للإفادة والتعليم . ومن بعد أن ذكر الأستاذ الجد بعض شيوخ المترجم بدمشق قال : وقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في الأشهر الثلاثة نيابة عن العلامة الشهاب المنيني . مات (رض) في اليوم الثامن من شهر رمضان سنة ١٢٥٩ .

(٣) الشيخ عبد الله بن سعيد بن احمد المشهور بالحلبي ، صدر الشام وعالمها ، لقد انفرد بعلو الهمة ، واقتصر عليه الخاص والعام في الأمور المهمة ، وكانت الحكام تفضله وتهابه وتعظمه ، وتعتمد في المهمات عليه ، وتستند في حل المشكلات اليه ، وقد تصدر بعد موت والده للإقراء والتدريس ، وكان يقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في جامع بني أمية في كل يوم جمعة من شهر رجب وشعبان ورمضان ، توفي في قرية برزة من قرى دمشق سنة ١٢٨٦ ، وفي صبيحة تلك الليلة أحضر الى الشام ، وصلي عليه في جامع بني أمية ، ودفن عند قبر أبيه في مرج الدحداح بمشهد عظيم . رحمه الله تعالى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو يكون الساخط عليه فيه أكثر من الراضي ، أين هذا من التكالب والتهاوت على نقل ما كان لسلفهم اليهم ، والسعي وراءه ، وإن كانوا ليسوا له بأهل ، وكم من منصب بيع لصغير وجاهل لنقده فيه من الأصفر الرنان ما أبكم من أولئك كل لسان . ألا إن التاريخ بالمرصاد فهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فرحم الله من عرف قدره ، ولم يتعد طوره اهـ .

وإني أختتم هذه النبذ التاريخية بكلمة جامعة لأوصاف من يصلح للتدريس تحت قبة النسر ، أو يحاول الارشاد والاصلاح في هذا العصر :

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر الإصلاح العام ، مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فان إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الأمور ، لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى أنه أدنى الى اقناعهم ، وقد كان رسول الله ﷺ ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول « كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » فالمذكر او الواعظ او المرشد هو كما وصفه بعض الأجلاء ملخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على إرشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات ، وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وتراث الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، سائس لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام ، بل هو العامل الأكبر في اخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده ، بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه ، إذ ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وأمته » .

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net